فيكونت نورثكلف

VISCOUNT NORTHCLIFFE.

فيكونت نورثكلف رجل عصامي بلغ بمجدهِ المقام الاسمى بين رجال الصحافة. واسمهُ الاصلي الفرد هرمسورث Alfred Harmsworth أعطي لقب فيكونت وهو فوق لقب لورد ودون لقب ارل اعترافاً بخدمتهِ لبلادهِ

ولد في ارلندا لكنهُ ربي في انكلترا وتوفي فيها في ١٤ اغسطس الماضي في السابعة والخمسين من عمرهِ وابوهُ من انكليزي وامهُ ارلندية ولم يكن في اسرتهِ احد من رجال الصحافة ولا من رجال القلم. وكان غرض ابيهِ ان يحترف حرفةَ المحاماة اما هو فلم يكن فيهِ ميل اليها بل كان يجاهر بكراهتها ومال من حداثتهِ الى الصحافة . ويقال انهُ دخل في صغرهِ مطبعة تطبع صحيفة اسبوعية وعاد منها ومعهُ بعض الحروف القديمة وجعل يرتبها لكي يطبع منها صحيفة

وكان في المدرسة مثل غيرهِ من التلامذة المجتهدين ولكنهُ لم يكن قوي البنية وظهر ميلهُ الى الصحافة وهو في المدرسة فانشأ صحيفة صغيرة قال في العدد الاول منها ان صحيفتي هذه ستفلح . وقال في العدد الثاني لقد صدق فالي فلقيت صحيفتي من الاقبال ما انتظرتهُ لها . وكان يكتبها بيدهِ وينشرها مكتوبة كالكتابة

ولما اتمَّ دروسهُ في المدرسة جُعل كاتباً لاحد القسوس فساح معهُ في اوربا فاتسعت معارفهُ وجعل يكاتب مجلة صغيرة اسمها يوث (الشباب) فلما عاد الى انكلترا عُرض عليهِ ان يكون مساعداً لمحررها باجرة جنيه ونصف في الاسبوع اي ستة جنيهات في الشهر فسرَّ بهذا المنصب لانهُ فتح امامهُ باب الصحافة . ولم يمضِ عليهِ وقت طويل حتى صار المحرر الوحيد لتلك الصحيفة وجُعل راتبهُ اربعة جنيهات في الاسبوع وكان عليهِ ان يكتبها كلها . لكن الصحيفة كانت على حافة القبر فلم يستطع انقاذها من الموت مع كل ما بذلهُ من العناية بها . وكان رجال الصحافة حينئذٍ يعدون انفسهم في مناصب عالية لا يتطاول اليها الا النوابغ الاكفاء وهم فيها مستقلون مستبدون يعزُّ على من كان دونهم ان يطمح بنظرهِ

اليها ولا يخفى انهُ هو غير تلك المقالة بعد ما قبض على دفة الصحافة بيديهِ اما حينئذٍ فكان عليهِ ان يصالح ويحير مع الاشرار

وكان في البلاد الانكليزية بيت يُعنى بنشر الكتب والمجلات وهو بيت هتدرسن فجعل يبعث اليهِ بمقالات يكتبها في مواضيع مختلفة فينشرها ذلك البيت او بيت كاسل وهو من ناشري الكتب والمجلات ايضاً او بيت نيونس صاحب الصحيفة الاسبوعية المسماة تت بتس وغيرها من الصحف المشهورة

ونشر كتباً صغيرة في مواضيع مختلفة ومع كل اجتهادهِ واشغالهِ المستمرة لم يزد دخلهُ السنوي على خمسماية جنيه وهو مبلغ لا يستهان بهِ ولكنهُ لا يشبع من كانت نفسهُ تطمح الى المعالي وتطلب الالوف لاسيما وانهُ كان اكبر اخوتهِ وكان ابوهُ قد توفي وترك لهُ عائلة كبيرة ليقوم بنفقتها فزاد اجتهادهُ واقتصاداً الى ان جمع من المال ما يمكّنهُ من انشاء صحيفة خاصة بهِ فانشأ سنة ١٨٨٨ مجلة اسبوعية صغيرة جعل مدارها اجوبة ما يخطر للقراء من المسائل المختلفة وما يرغب عامة الناس في الاطلاع عليهِ وسماها الاجوبة حسب مضمونها وملأها بفكاهات ونبذ صغيرة وكتب بيدهِ اكثر العدد الاول منها وبذل جهدهُ في نشرها حتى يطّلع عليها الجمهور الاكبر من القراء

ومضت اربعة اشهر قبل ما صارت هذه المجلة تقوم بنفقاتها وكان معهُ شركاء فابتاع اكثر حصصهم واستقل بتحريرها وادارتها ثم سلم ادارتها لاخيهِ هرلد وهو الآن لورد رذرمير

ثم وجد جريدة يومية اسمها اخبار المساء Evening News في حالة تقرب من الافلاس فاشتراها واصلح شأنها فاتسع انتشارها وربح منها ربحاً وافراً مكّنهُ من انشاء الديلي ميل وهي اشهر جرائدهِ واكثرها انتشاراً ولهُ غيرها من الجرائد والمجلات ما بلغ عددهُ اكثر من ثلاثين في سبع سنوات منذ انشائهِ الصحيفة الاولى. ويبلغ عدد الجرائد والمجلات التي انشأها وهي منتشرة الآن نحو مائة ستٍّ وسبعون منها للازياء والالعاب والنساء والصبيان والبنات

ويقال انهُ لما صمّم على انشاء الديلي ميل بقي ثلاثة اشهر يكتبها هو ومساعدوهُ كل يوم ويملأونها بالاخبار والتلغرافات وترتّب حروفها ويطبع منها اعداد قليلة لا تنشر بل يتولى هو ومساعدوهُ اصلاحها والتغيير والتبديل فيها ثم يفعلون

مثل ذلك في اليوم التالي والذي يمدهُ الى ثلاثة اشهر الى ان جعلها في الصورة التي ارتضاها من حيث ترتيب مقالاتها واخبارها واعلاناتها وصورها وحينئذٍ نشرها وجعل ثمن النسخة منها نصف بني اي مليمين فجعلها ترضي العامة وعم الفريق الاكبر ولا يأنف منها الخاصة. ففاقت كل الجرائد الانكليزية انتشاراً ودخلاً لان اكثر دخل الجرائد من اعلاناتها واجور الاعلانات تزيد بزيادة انتشار الجريدة. والمشهور ان اجرة نشر اعلان على صفحة واحدة منها يوماً واحداً نحو الفي جنيه لان الاجرة حسب الانتشار

وكانت عيناهُ تطمحان الى تولي ادارة التيمس اعظم جرائد الانكليز السياسية فابتاع اكثر اسهمها وتولى ادارتها وحاول الجمع بين بقاء مركزها السياسي والادبي وبين زيادة انتشارها ليزيد دخلهُ ففاز بزيادة الانتشار لانهُ نشر فيها اعلانات ازياء النساء وما اشبه ولكننا لا نرى انهُ احتفظ بمقامها السياسي والادبي الاَّ بما اضافهُ اليها من الملحقات الكثيرة

وكان هاماً مقداماً لا يثنيهِ شيء عما يعتقدهُ صواباً يتناول اكبر قائد واكبر وزير بالانتقاد والتقريع والتشهير كما يتناول اصغر رجال البوليس وباعة اللبن. وهو من بعيدي النظر الذين انبأوا منذ سنة ١٩٠٩ بان الالمان كانوا يستعدون لمحاربة انكلترا. ثم لما نشبت الحرب انتقد لورد كتشنر وشدد النكير عليهِ لانهُ كان يأبى استعمال المتفجرات الشديدة الانفجار. وهو الذي نشر الدعوى في بلاد الالمان لكي يثير الشعب على الحكومة فشهد الالمان لهُ انهُ كان ابرع منهم في ذلك. وقد افاد بلادهُ في امور كثيرة عميمة النفع مثل جعلهِ الحكومة تعنى بان يكون اللبن خالياً من الغش وان لا ينقص وزن الرغيف عن وزن محدود وان تهتم ببناء المساكن للفقراء. وهو المنشط الاكبر للطيران. وكان ماهراً في اختيار الرجال للاعمال التي تولاها فنجحت وكسب منها ثروة كبيرة تقدر بملايين الجنيهات

وقد احتفل بدفنهِ احتفالاً فخماً كأنهُ امير من اكبر الامراء او قائد من اشهر القواد. وايَّنتهُ الجرائد على اختلاف بلدانها ولغاتها ونزعاتها ونوَّهت بمقدرتهِ الفائقة على نشر الجرائد وقيادة الرأي العام بها والاقدام على عظائم الامور. ولم يبخل عليهِ بعضها بشيء من الانتقاد ولكن المعجبين بهِ يقولون

ومن ذا الذي ترضى سجاياهُ كلها كفى المرء نبلاً ان تعدَّ معايبه